السنة الأولى ماستر
التخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830
المقياس: التحولات الكبرى في غربي البحر المتوسط

الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية -3
أسباب إخفاق الإسبان في التوسع نحو المناطق الداخلية- 2

أ.د. عبد القادر فكاير

5 - وجود طبقة حاكمة قوية :

لقد تولى الحكم في الجزائر في بداية عهدها عددا من القادة الذين كانوا يتميزون بالكفاءة والقدرة على التسيير المحكم للبلاد سواء على الصعيد الداخلي، أو على صعيد مواجهة التحديات العدوانية الخارجية. وفيما يلي ذكر لأهم الشخصيات التي حكمت البلاد خلال النصف الأول من القرن السادس عشر.

عروج : الذي نظم الإدارة ، وضرب النقود ، وأسس جيشا قويا ، واتخذ راية رسمية تحمل ألوانا متميزة هي الأخضر والأحمر والأصفر، وأنشأ ديوانا الذي تناقش فيه أمور البلاد .

خير الدين باشا : من دون شك ، أنه عندما يذكر اسم خير الدين يرتبط ببداية عهد الدولة الجزائرية الحديثة في بداية القران السادس عشر. الذي ارتبطت في عهده الجزائر بالدولة العثمانية ، وشهدت هذه الدولة الفتية تنظيم الحكم ، وترتيب الإدارة ، وتصفية الوجود الأسباني في البنيون سنة 1529 انتشر صيته في مختلف أنحاء البحر المتوسط .

حسن آغا : يذكر أن أصله من سردينيا ، جاء به خير الدين إلى الجزائر. ولما كان يتميز بالنباهة والاستقامة حضي لدى خير الدين بمكانة خاصة جعلته يسند إليه أموره الشخصية. بل أسند إليه حكم الجزائر أثناء غيابه في اسطمبول .

وصفه صاحب كتاب الغزوات بأنه << كان رجلا عاقلا حازما سديد الرأي جيد التدبير له حظ من العلم>>. وأهم حدث شهده حسن آغا وهو يحكم الجزائر تعرض العاصمة لحملة شارل الخامس سنة 1541، فأسرع إلى جمع العلماء والأعيان واستشارهم في الأمر، وشجع الناس على الدفاع ، وزودهم بالسلاح . قال هايدو :<< لم يظهر أي ملك في أية حالة من الأحوال أكثر شجاعة وحنكة مثلما أظهر حسن آغا في تلك الظروف مع الحصار الذي ضربه عليه الإمبراطور شارل الخامس>>. فكان لشجاعة حسن آغا وحسن قيادته لفصول هذه المعركة، دورها في إدخال الرعب في قلوب جنود الإمبراطور وتحقيق الانتصار.

صالح رايس : تولى الحكم سنة 1552، خلفا حسن باشا. من أهم أعماله إضعاف شوكة السعديين الذين كانوا بدروهم يتربصون بتلمسان . فاستغل النزاع القائم في فاس على الحكم بين الملك محمد المهدي أبي حسون المريني ، وساند صالح رايس الأخير ، فتحرك بجيشه إلى فاس واحتلها ونصبه أبا حسون ملكا عليها سنة 1553 .

وفي الجبهة الداخلية اشتهر صالح رايس بتوحيده للبلاد ، حيث واجه تمردا من زعماء تقرت وورقلة، حين رفضوا دفع الضريبة إلى السلطة المركزية في الجزائر العاصمة . فشكل جيشا يتألف من 8000 شخص وأرسله تحت قيادة عبد العزيز، واستولى على تقرت بعد حصار دام أربعة أيام ثم استولى على مدينة ورقلة دون مقاومة . ومنذ ذلك الحين اقتنع سكانها بدفع الضرائب والتزموا بالولاء التام. وإن أهم انجاز اشتهر به صالح رايس في صراعه مع الأسبان، هو تحرير بجابة سنة 1555 . بعد حصار فرضه عليهم دام أسبوعين.

6 ـ انشغال أسبانيا بمشاكلها الداخلية :

بعد ذهاب الملكين الكاثوليكيين بدأت أسبانيا تشهد المشاكل الداخلية منها تلك التي عاشتها ما بين سنة 1519-1521. حيث اندلاعت ثورات في بعض الأقاليم . ، منها الثورة التي قامت في بلنسية سنة 1519 ، والثورة في قشتالة. وثورات في مقاطعات طليطلة وسيغوفيا وسالمنكا التي وقعت ما بين 1520-1521 . وقد تمكن الجيش الملكي من هزم الثوار في معركة فيالار(Villalar) في شهر فيفري 1521 . كما تم القبض على زعماء الثورة ، كان في مقدمتهم خوان دي باديا الذين تم إعدامهم . واستسلمت المدن الثائرة ماعدا طليطلة التي قاومت بعض الوقت.

وفي عهد فيليب الثاني انشغلت أسبانيا بثورات دينية وانفصالية في الأراضي المنخفضة، أدت إلى حروب طاحنة ، ألحقت بها خسائر كبيرة في الأموال والأرواح . ومما زاد من تصعيد الموقف الخطير ، الإجراءات التي طبقها الملك على هذه البلاد ، كتعيين موظفين أسبانيين وإرسال تعزيزات عسكرية إلى البلاد المنخفضة ، ومطالبة أهل البلاد التابعة لها بالمساهمة بالمال والرجال عندما اتسعت دائرة الحروب التي خاضتها أسبانيا. إلى جانب ذلك اتسعت دائرة محاكم التفتيش ، التي كان والده أدخلها من قبل في الأراضي المنخفضة . لكن عزيمة الثوار الصلبة واستمرارهم في المقاومة ، أفضت في الأخير إلى انتزاع جزء كبير من الأراضي المنخفضة ، وأن يؤسسوا بها حكومة مستقلة . وقد نجح زعيمهم وليم أورنغ في توحيد سبع ولايات في الشمال (إتحاد أوترخت1579) . وبفضل مساعدة انكلترا وفرنسا لخلفه ابنه موريس تمكن من الاحتفاظ باستقلال الولايات الشمالية ، التي أصبحت تدعي هولندا .

وفي بداية القرن الثامن عشر شهدت أسبانيا حرب الوراثة على العرش امتدت ما بين 1701-1713 . وانتهت بتوقيع معاهدة أوترخت (Utrecht)عام 1713 وقع عليها ممثلو دول فرنسا إسبانيا انكلترا النمسا هولندا. وقد نصت الاتفاقية على:

1 ـ تثبيت فيليب حفيد لويس الرابع عشر ملكا على أسبانيا ، وأملاكها الأمريكية.

2 ـ فازت النمسا بمعظم إقطاعيات أسبانيا في إيطاليا (نابولي، سردينيا، وميلانو) كما استولت على الأراضي المنخفضة الأسبانية (بلجيكا).

7 ـ انشغال الأسبان بالحروب داخل أوربا وخارجها :

1- في حروب إيطاليا: كانت إيطاليا منذ نهاية القرن الخامس عشر مسرحا للتنافس بين الكثير من الدول الأوربية من بينها أسبانيا . فقد دفعها طموحها إلى خوض سلسلة من الحروب مع فرنسا انطلقت في أواخر القرن الخامس عشر (1495) ، واستمرت إلى غاية سنة 1559 التي أبرمت فيها معاهدة كاتو كامبيرسيس (Cateau-Cambérsis) ، التي انتهت بموجبها هذه الحرب. وأهم ما نصت عليه تنازل فرنسا عن ادعاءاتها في ميلانو

ونابولي ، وعن دوقية ساقوري التي تضم سافقوي وبيدمونت . واحتفظت فرنسا لنفسها متز ، تول وفردان.

2- ضم إسبانيا البرتغال إليها 1580: إن طموح أسبانيا لم يتوقف عند إيطاليا ، بل استرعاها الاهتمام بجارتها الأيبيرية البرتغال ، فقد تمكنت من ضمها سنة 1580 ، عندما توفي ملكها دوم هنري ولم يترك بعد وريث للعرش . وهكذا أصبح فيليب الثاني ملك البرتغال .

3- انهزام الأسطول الإسباني أمام انكلترا 1588: شهد الأسطول الأسباني ـ المعروف بالأرمادا التي لا تقهر ـ انتكاسة كبيرة في شواطئها ، عندما قرر الملك فيليب الثاني القيام بحملة لإبعاد الملكة اليزابيث الأولى لينصب بدلها في لندن ملكة إيقوسيا ماريا ستيوارت الكاثوليكية . فتعرض الأسطول إلى التدمير في بحر الشمال بسبب سوء القيادة ، وهبوب الرياح القوية ، إلى جانب مفعول القوات الانكليزية والهولندية ، ولم تسلم من الدمار سوى خمسين سفينة من مجموع مائة وثلاثون وذلك في سنة أوت 1588 .

4- الحرب مع فرنسا في القرن السابع عشر حول منطقة الأراضي المنخفضة ، حيث تمكنت قوات مازران ، التي دفع بها إلى حرب الأسبان في هذه المنطقة . ولما انهزت القوات الأسبانية ، اضطرت أسبانيا إلى طلب الصلح، وبدأت المفاوضات في عام 1643 ، ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق حتى سنة 1659 ، وقع الطرفان في 7 نوفمبر بتوقيع معاهدة البرانس. نصت على 124 مادة .

5- ، الثورة في البرتغال وانفصالها عن إسبانيا (1640) تزعمها الدوق براغانس (Bragance)في عام 1640،وتمكن من طرد الأسبان من بلاده ونصب نفسه ملكا باسم خوان الرابع.

وشهد القرن الثامن عشر الميلادي دخول أسبانيا في نزاع مع بريطانيا عندما تنافستا من أجل السيطرة الاستعمارية في أمريكا. يضاف إلى ذلك أن أسبانيا أرادت استعادة جبل طارق ومينوركا من بريطانيا.